الفصل التاسع

الأم في مرحلة الحمل

- التعريف الشرعي بالجنين
- أطوار تكوين الجنين على ضوء الكتاب والسنة
- تعريف الطفل عند علماء الاجتماع وعلم النفس
- التزامات الأم أثناء فترة الحمل
- الالتزامات المتعلقة بالنواحي الاجتماعية والنفسية للأم الحامل
- الآثار المترتبة على عدم التهيئة النفسية للمرأة الحامل وانعكاساتها على صحة الجنين

أهمية الوعى الطبى والصحى والنفسى للمرأة الحامل

التعريف الشرعى بالجنين :

المراحل التى قبل "نفخ الروح" لا يطلق عليها مصطلح الجنين ؟ وذلك من وجهة النظر الإسلامية، والاستعمال الحقيقى لمصطلح "جنين" يكون عند بدء نفخ الروح فى الجسد وإيجاد الحياة فيه، أما قبل هذه المرحلة فيكون إطلاق اسم الجنين من باب المجاز باعتبار أنه مقدمة للجنين، والدليل على ذلك ما ساقه الإمام المزنى الشافعى عن الإمام الشافعى فى مختصره بهامش كتاب الأم: قال الشافعى فى الجنين.. أقل ما يكون به جنينًا أن يفارق المضغة والعلقة حتى يتبين منه شيء من خلق آدمى أصبع أو ظفر أو عين أو ما أشبه ذلك[1].

أطوار تكوين الجنين على ضوء الكتاب والسنة :

تناول القرآن الكريم الأطوار التى يمر بها الإنسان فى آيات كثيرة: قال الله تعالى : ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقارا * وقد خلقكم أطوارا﴾ (نوح : ١٣ – ١٤)، وقال ابن عباس وابن زيد: معناه من نطفة من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة. ثم تكون عظامًا ثم يكسوها اللحم، ثم ينشئها الله خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين. فخلق الجنين يمر بمراحل معينة.

التعريف القانونى بالطفل :

الطفل لغة : هو الصغير من كل شيء، فالصغري من الناس أو الدواب الطفل والصغير من السحاب طفل، والليل فى أوله طفل، وأصل لفظ الطفل من الطفالة أى النعومة، فالوليد به طفالة ونعومة حتى قبل الطفل هو الوليد ما دام رخصًا أى ناعمًا، وكلمة طفل تطلق على الذكر والأنثى. والطفل لغة تشير إلى الصغير من كل شيء.

---

[1] أحمد، هلالى عبد اللاه، والقاضى، خالد محمد، (٢٠٠٨)، حقوق الطفل،

تعريف الطفل عند علماء الاجتماع :

اختلف علماء الاجتماع فى تعريف الطفل تبعًا لاختلاف وجهات النظر، حيث تم بلورة هذا الخلاف فى ثلاثة اتجاهات رئيسة هى :

أولاً: تحديد الطفل بسن معينة :

حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن مفهوم الطفل يتحدد بسن معينة تبدأ منذ ميلاده وتمتد إلى الثانية عشرة من عمره وفى بعض القوانين حتى الثامنة عشر.

ثانيًا: الطفل هو من لم يصل إلى طور البلوغ أو مرحلة البلوغ الجنسى:

حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن فترة الطفولة هى المرحلة الأولى من مراحل تكوين ونمو الشخصية وتبدأ من الميلاد وحتى بداية طور البلوغ والدخول فى مرحلة المراهقة.

ثالثًا: الطفل هو كل من لم يصل إلى مرحلة الرشد :

حيث ورد فى قاموس علم الاجتماع للدكتور غيث ورفاقه أن الطفولة فترة الحياة التى تبدأ منذ الميلاد حتى الرشد. فقد تنتهى الطفولة عند البلوغ، أو عند الزواج، أو عند سن محددة لها[1].

تعريف الطفل عند علماء النفس :

يهتم علم النفس برعاية الطفولة ليس فحسب منذ الولادة، كما هو الحال لدى علماء علم الاجتماع، وإنما تمتد هذه الرعاية إلى الجنين فى بطن أمه. وتمثل الفترة التى يقضيها الإنسان فى مرحلة التكوين أخطر مراحل عمره على الإطلاق، حيث يتم وضع جذور الشخصية الأولى أو أسسها الأولى وتترك خبرات الطفولة بصماتها طوال حياة الفرد.

وتأسيسًا على ما قدم فإن طور الطفولة يبدأ بالمرحلة الجنينية، وينتهى ببداية البلوغ الجنسى. ومعروف أن الأنثى تصل إلى مرحلة البلوغ الجنسى قبل

---

[1] غيث، محمد عاطف، وآخرون، (١٩٩٠). قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، القاهرة، ص ٥٥.

الطفل الذكر بنحو عامين. ويتأثر سن البلوغ بالظروف المناخية والاجتماعية والاقتصادية.

وتظهر اختلافات فى عمر النضج الجنسى ترجع إلى الاختلاف فى سرعة نشاط الغدد الصماء المسئولة عن بداية التغيرات التى تحدث فى هذا السن. ومعروف أن هذه الغدد الصماء أو عديمة القنوات تفرز إفرازاتها داخل الدم.

والغدد الصماء Endocrine glands هى غدة لامنوية ذات إفراز دخلى، تصب مادتها المفروزة مباشرة فى الدم أو السائل الدورانى. والمادة الكيماوية التى تفرزها الغدد الصماء تؤثر مباشرة فى الجسم وعلى نطاق كبير[1].

كما يتأثر النضج الجنسى بدور عامل الوراثة وبالظروف الصحية العامة للفرد والتغذية التى تسودها البروتينات وتؤدى إلى الإسراع بالبلوغ، ففى سوء التغذية يتأخر سن البلوغ الجنسى.

كما أن البنية الجسمية للطفل تؤثر فى تحديد عمر نضجه الجنسى، ويرى البعض أن هناك شواهد تدل على أن الأذكياء يميلون إلى أن يكونوا أسبق من غيرهم إلى البلوغ، وأن المبكرين فى بلوغهم يكونوا عادة أضخم أجسامًا وأوفر نموًا من الآخرين[2]. فالنمو يتأثر بعوامل الوراثة والبيئة وبالعوامل الميلادية التى يوجد أثرها عند ميلاد الطفل.

التزامات الأم أثناء فترة الحمل :

يمكن تقسيم الالتزامات التى تتطلبها مقتضيات الصحة العامة للأم الحامل إلى التزامات إيجابية وأخرى سلبية على أساس نوع السلوك الذى ينبغى أن تقوم به المرأة الحامل، أو الذى يجب أن تمتنع عن القيام به.

ومن بين هذه الالتزامات الإيجابية ما يلى :

---

[1] رزوق، أسعد، (١٩٧٧)، موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص ٢٢٩.

[2] أحمد، هلالى عبد اللاه، والقاضى، خالد محمد، (٢٠٠٨)، مرجعهما السابق، ص ٣٢.

١- الحرص على النشاط البدنى والحركى، حيث يعتبر النشاط البدنى والحركى أثناء الحمل من أهم العوامل التى تساعد على سلامة الأم الحامل حيث أن احتفاظها بصحتها الجيدة ييسر لها عملية الولادة ومن بعدها عملية الرضاعة الطبيعية.

٢- الحرص على كثرة الاغتسال والنوم لمدة كافية : ينصح الأطباء بأن تغتسل الحامل صباحًا ومساءً بالماء الدافئ عملاً بمبدأ الوقاية خير من العلاج، ولأن الجلد النظيف يساعد على تيسير عمل الكليتين اللتين تتحملان جهدًا كبيرًا فى هذه الفترة. كما ينبغى أن تخلد الحامل إلى الراحة والنوم لمدة ساعة بعد الظهر وثمانى ساعات فى المساء، وعليها أن تنام على جنب من الجنبين لتقليل الضغط من الرحم على الأوعية الدموية الكبيرة وأيضًا تقليل الورم[١].

٣- الحرص على ارتداء الملابس الواسعة والأحذية المريحة وعلى المرأة الحامل أن ترتدى ملابس واسعة حتى لا تعوق حركات البطن والثديين.

٤- التزام الأم الحامل بالمتابعة الدورية لدى طبيب متخصص فى النساء والولادة، حيث تعتبر المتابعة الدورية لدى المتخصص خلال فترة الحمل من أهم الالتزامات التى يتحتم على الحامل القيام بها للمحافظة على صحتها وعلى سلامة الحمل والجنين كذلك[٢].

الالتزامات المتعلقة بالنواحى الاجتماعية والنفسية للأم الحامل :

الحمل، وخاصة لأول مرة، يزيد من سعادة المرأة لأنها تطمئن إلى خصوبتها، ولأن الحمل غالبًا ما يضيف إلى سعادة الزوجين هناء وبهجة وإلى الروابط الأسرية تماسكًا، ويقوى الرباط القائم بينهما. ويعتبر الحمل بداية نمط جديد من الحياة يحتاج إلى تعلم جديد وتوافق جديد، ولتحقيق ذلك لابد أن تكون الأم الحامل مهيأة اجتماعيًا ونفسيًا وجسميًا واقتصاديًا وثقافيًا لهذا الحمل، وذلك على النحو التالى :

---

(١) أحمد، هلالى عبد اللاه، والقاضى، خالد محمد، (٢٠٠٨)، مرجعهما السابق، ص ٦٢.
(٢) أحمد، هلالى عبد اللاه، والقاضى، خالد محمد، (٢٠٠٨)، مرجعهما السابق، ص ٧٠.

١- أن تكون الأم الحامل مهيأة اجتماعيًا لهذا الحمل:

والتهيئة الاجتماعية للأم الحامل تبدأ بالتخطيط المسبق قبل الحمل، وهذا التخطيط يشمل مجموعة من العناصر الأساسية، يجب أن تدخل فى الحسبان مثل سن الأم والأب وصحتهما وثقافتهما ومدى استعدادهما لرعاية أبنائهما الرعاية السليمة وتوفر المال والمسكن وما إلى ذلك.

كما ينبغى أن يؤخذ فى الاعتبار الوعى الاجتماعى للمرأة الحامل، فالحمل والولادة يتضمنان دخول المرأة الحامل فى دور اجتماعى ونفسى جديد، وهو دور الأم، كما يحتاج الحمل والولادة إلى امرأة ترضى عن دورها كأنثى وعن دورها كأم. وأن تعتبر الحمل والولادة والرضاعة من أهم وظائفها الأنثوية فى المجتمع، وهى فى الحقيقة رسالة عظيمة[١].

٢- أن تكون الأم الحامل مهيأة نفسيًا لهذا الحمل :

حيث تؤثر الحالة النفسية للحامل بطريق غير مباشر على نمو الجنين، فالخوف والغضب والتوتر والقلق عند الأم يستثير الجهاز العصبى الذاتى، وينعكس أثر ذلك فى النواحى الفسيولوجية مما يؤدى إلى اضطراب إفراز الغدد وتغير التركيب الكيميائى للدم مما يؤثر بدوره على نمو الجنين. ومن أهم العوامل النفسية أن يكون هذا الحمل مرغوبًا فيه من جانب الأم والأب كذلك.

واتجاه الأم نحو حملها يرتبط ارتباطًا وثيقًا بنضجها الانفعالى وقدرتها على التوافق، وكذلك يتبين الدور المهم الذى يقوم به الزوج فى التهيئة النفسية لزوجته، والذى ينعكس بدوره على الجنين، حيث يشارك الزوج زوجته شهور حملها، ثم يشاركها بعد ذلك فرحتها باستقبال وليدهما والعناية به والسهر على رعايته[٢].

وهناك بعض الأزواج، للأسف الشديد، يعتبرون أن الحمل مسألة نسائية صرفة ولا تخصهم فى شىء، ولكن على الزوج المشاركة العاطفية والوجدانية للمرأة

---

(١) أحمد، هلالى عبد اللاه، والقاضى، خالد محمد، (٢٠٠٨)، مرجعهما السابق، ص ٨٢.
(٢) أحمد، هلالى عبد اللاه، والقاضى، خالد محمد، (٢٠٠٨)، مرجعهما السابق، ص ٨٤.

فى رحلة حملها وأن يشعرها بالعطف والحب والحنان والقبول والرضا وأن يتعاون معها فى المحافظة على الحمل.

الآثار المترتبة على عدم التهيئة النفسية للمرأة الحامل وانعكاساتها على صحة الجنين:

تشير كل الدلائل العلمية إلى أخطار الحالات النفسية التى تعانى منها الأم الحامل على جنينها. فلقد تأكد تأثير هذه الحالات النفسية السيئة على الجنين، بالرغم من عدم وجود ارتباط مباشر بين الجهاز العصبى لكل من الأم والجنين، حيث قد ينشأ هذا الأثر عن طريق الإفرازات التى تفرزها الغدد الصماء وهرمونات الجهاز العصبى المستقل عند الأم نتيجة للقلق والتوتر. وهذه الهرمونات تخترق المشيمة وتدخل فى المسار الرئيس لدم الجنين.

ومن هنا كانت أهمية دراسة الانفعالات النفسية التى تتعرض لها الأم الحامل وانعكاساتها على صحة الجنين، حيث تتخذ الانفعالات النفسية عدة صور، فقد تظهر فى صورة قلق نفسى مصحوب بأرق وعدم استقرار، كما قد تظهر فى صورة اكتئاب نفسى بسيط. يبدأ بعدة أحاسيس تشعر بها الأم الحامل مثل هبوط المعنويات، وفقدان الحماس والرغبة الشديدة فى البكاء دون سبب ظاهر.

والانفعالات حالة معقدة وليست حالة بسيطة، وأنها تتضمن تغييرات جسمية واسعة مثل التنفس والنبض وإفراز الغدد، أما الجانب النفسى فهو عبارة عن حالة إثارة تمتاز بقوة الشعور، ورغبة فى عمل سلوك معين وفى حالة ما يكون الانفعال حادًا فإن الوظائف العقلية يصيبها الاضطرابات، فالانفعال يتضمن استجابات شعورية وأفعال ظاهرية خارجية وأخرى داخلية باطنية. ويمكن أن يعرقل أو يسهل هذا الانفعال استجابات الفرد.

وقد تتزايد أعراض الحالة النفسية للحامل فتصاب الأمل الحامل بالاكتئاب النفسى الشديد، وهذا النوع من الاكتئاب يتسم بأعراض عقلية بالإضافة إلى أعراض الاكتئاب النفسى البسيط، ولعل من أبرز أعراضه الرغبة فى التخلص من

الحياة والإحساس بالألم النفسى وعدم القدرة على العمل والإحساس الشديد باليأس والعجز.

ويعرف الاكتئاب العصابى neurotic depression أعراضه الاكتئاب المخفف والحصر والشعور بالذنب والكبت[1].

كما قد تظهر الحالة النفسية فى صورة اضطراب عقلى، أعراضه تشبه مرض الفصام حيث تعانى الأم الحامل من الهلوسة السمعية أو البصرية مع وجود تصورات خاطئة. ومعروف أنه من أبرز أعراض الذهان العقلى، أى المرض العقلى، ومنه ذهان فصام الشخصية الهلاوس وهى مدركات حسية زائفة لا وجود لها إلا فى ذهن المريض، وكذلك الهذاءات أو الضلالات وهى أفكار خاطئة.

والفصام schizophrenia هو ضرب من الخلل العقلى يشمل ما كان يعرف سابقًا "بالجنون المبكر" أو خبل الشباب، ويتميز بالتفكك والتحلل لاسيما بين العمليات الفكرية والشعورية أو الانفعالية، حيث يعانى مريض الفصام بدرجة كبيرة من التشويش والاضطراب، وتوجد أربعة أنواع من هذا التخلل أو الانهيار[2].

وللانفعالات النفسية دور خطير فى كثير من حالات الإجهاض التلقائى الذى يحدث قبل موعد الولادة الطبيعية، وخاصة إذا كان الانفعال النفسى شديدًا، كما أن لها دورًا خطيرًا أيضًا فى حدوث الولادات المبسترة أى ولادة الطفل قبل استكمال الأشهر الرحمية المقررة له. وبصفة عامة يمكن القول بأن قلق الأم الحامل وتوتراتها واضطراباتها أثناء الحمل قد تؤثر تأثيرًا سلبيًا على الجنين، وتعوق توافقه فى المستقبل مع بيئته[3].

---

(1) الحفنى، عبد المنعم، (١٩٩٤)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسى، مكتبة مدبولى، القاهرة، ص ٢٠٧.
(2) رزوق، أسعد، (١٩٧٧)، مرجعه السابق، ص ٢٣٧.
(3) أحمد، هلالى عبد اللاه، والقاضى، خالد محمد، (٢٠٠٨)، مرجعهما السابق، ص ٨٥.